شارون يريد فترة انتقالية غير محدودة لقضم بقية الأراضي

كلما دقق الإنسان النظر في ما حدث وما يحدث بيننا وبين الإسرائيليين، يصل إلى استنتاج مؤكد، هو فشل مشروع أوسلو في بلوغ غاية السلام بعد عشر سنوات من المفاوضات، وإصرار الإسرائيليين على تفسير كل اتفاق يحدث بإرادة الطرفين تفسيراً يحوله إلى إذعان بحت ويلغي أية ميزة قد تعود على الجانب الفلسطيني، ثم يجئ التطبيق الميداني الذي يحمل طابع التنكيل بالطرف الفلسطيني، ويتعمد الإضرار به، ويغلق آفاق التقدم أمام مشروعه الوطني. حتى شهدنا اليوم حالة يتربع فيها على كرسي الحكم فرقاء سياسيون إسرائيليون من ثلاثة أنواع : فشارون وحزبه هم الجيل الذي ابتكر شعار : العربي الجيد هو العربي الميت، ورحبعام زئيفي وأمثاله لا يرون ضرورة لقتله بشرط أن يرحل عن البلاد، وبيريز وجماعته يريدون أن يصبح الفلسطيني عيناً لهم ووسيطاً صغيراً في الأسواق العربية، وأن يصبح العربي إجمالا بمثابة عتال يحمل إليهم خيرات بلاده من خلال مشروع الشرق الأوسط الجديد.

وهذه الوزارة الجديدة برئاسة شارون ليست غريبة على سياق التطورات السياسية المتسارعة في إسرائيل منذ ربع قرن. ولخصها علماء اجتماع إسرائيليون في أواخر الثمانينات بقولهم : إن المجتمع يتجه نحو التطرف إلى اليمين. أما التحليلات التي تنشرها أجهزة الدعاية الإسرائيلية حالياً، وتقول فيها إن رفض عرفات عروض باراك في كامب ديفيد، وان إصرار الفلسطينيين على حق العودة وقيامهم بانتفاضة جديدة هو الذي عزز قوى اليمين في إسرائيل وهو الذي قضى على الاعتدال والمعتدلين، فهي تحليلات تتجاهل ذلك السياق الذي أشرنا إليه، وتقصد إلصاق التهم والمعايب والشرور قاطبة بالفلسطينيين! ولهذا يمكن اعتبار هذه التحليلات بدورها نوعاً من الظاهرة اليمينية وبعبارة أخرى الظاهرة العنصرية التي هيمنت على العقل الإسرائيلي هيمنة كاملة بعدما تعززت مكانة لصوص الأرض المستوطنين وقادتهم الحاخامات وأنصارهم جنرالات الأحزاب والحكومات، وأولهم شارون صاحب الخرائط والمشاريع الاستيطانية، الذي بلغت به عقيدة الاغتصاب والاستهتار بالعالم كله أنه حينما كان وزيراً في وزارة نتنياهو وعاد من (واى ريفر) وما زال حبر اتفاق واي ريفر لم يجف، دعا زعماء المستوطنين وطلب منهم أن يحتلوا رؤوس الجبال ويقيموا عليها مستعمرات جديدة في الضفة الغربية!

فما قضى على الاعتدال هو الطمع. وهو تقادم العهد على اعتياد الاحتلال. وهو تكيف الإدارات الأمريكية المتعاقبة مع العهود المختلفة في إسرائيل. وهو أن فرعون لم يجد من يرده عن فرعنته.

أما تراجع مكانة حزب العمل، فأسبابها فساده وشيخوخته وبقاؤه في الحكم شبه منفرد أكثر من ربع قرن، وليس حزب العمل بالمثال الوحيد على تآكل مكانة التنظيمات السياسية حينما يتقدم بها العمر وتنتشر قصص الرشوة والفساد التي تمس قادتها. وليس صحيحا على الإطلاق ما يقوله أمثال شلومو بن عامي من أن " عرفات ضرب فريق السلام في إسرائيل، لأن فريق السلام المزعوم مهترئ بسبب كذبه وطمعه ورغبته في ابتزاز الفلسطينيين أصحاب البلاد إلى أقصى حد ممكن.

والوزارة الراهنة بتركيبها وبشخوصها وعقليات أفرادها هي حصيلة مرحلة التوسع الاستعماري بعد عدوان ١٩٦٧، حيث أطلق حزب العمل أولاً إشارة الانطلاق نحو إقامة

المستعمرات على أراضي الضفة والقطاع وتأسست بالتالي سلطة الحاخامات و أتباعهم القادمين من المدارس الدينية جنباً إلى جنب مع ناشئة المافيات الأمريكية. والوزارة الراهنة حصيلة الإحساس بالقوة الذي تضاعف مع كل قنبلة ذرية جديدة أدخلت إلى الترسانة العسكرية، كما أن الوزارة الراهنة حصيلة الانتهازية الديمقراطية التي سمحت لحزب العمل أن يستمر في تملق الحاخامات وأتباعهم من أجل الغايات الانتخابية ولو بدا واضحاً أن هؤلاء أقرب وأكثر ميلاً إلى الليكود، وإلى تشكيل أحزاب خاصة بهم تتبنى أكثر البرامج جنونا وتطرفا وحقدا على العرب أهل البلاد. والوزارة الراهنة أخيرا هي تجمع الشخصيات التي برهنت من خلال تاريخها ومواقفها أو شعاراتها على عدوانية لا هوادة فيها تجاه العرب.

وبين هؤلاء الذين تتألف منهم الوزارة الجديدة يعد آريئيل شارون أقواهم وأقدرهم على الكذب في الوقت نفسه. وينافسه في ذلك شيمون بيريز. ولذلك من الصعب تخيل بقائهما معا حتى نهاية فترة الولاية، لأن كلا منهما يعرف الآخر بما فيه الكفاية، ولا تجوز ألعابه عليه. ولعلهما أول من سيتصادمان بعد وقت يسير، فلا يجد شيمون بيريز بدا من المغادرة بقلب مثقل.

لكن الوزارة الجديدة بغض النظر عن أشخاصها محكومة بعاملين اثنين مضادين للسلام الحقيقي :

عامل اقتصادي يتمثل في استحالة ترك الفلسطينيين أحرارا في أمور تجارتهم وأسواقهم، نظرا للأرباح الفاحشة التي يجنيها أصحاب الأعمال اليهود في ظل احتكار السوق الفلسطينية الاستهلاكية في الضفة والقطاع للمنتجات الإسرائيلية الرديئة. وهو احتكار نشأ خلال سنوات الاحتلال الطويلة، وحافظت الاتفاقية الانتقالية عليه بأن أبقت للإسرائيليين صلاحية السيطرة على المعابر، وربطت الاقتصاد الفلسطيني عامة بالاقتصاد الإسرائيلي بواسطة اتفاق باريس الاقتصادي سيئ الصيت. ومن العبث التحدث عن سلام حقيقي في أية حالة تقوم على علاقة استعمار وتسلط وطفيلية طرف على دم طرف آخر.

وعامل معنوي وعقائدي يتمثل في انبعاث وتبلور فكر جديد معاد للسلام والتفاهم في أوساط النخب السياسية الإسرائيلية. وأوضح مثال على هذا الفكر هو كتاب بنيامين نتنياهو " مكان تحت الشمس "، وكذا محاضرة إيهود باراك التي نشرتها صحيفة نتيف الإسرائيلية قبل خمسة شهور، وكان باراك قد ألقاها في وزارة الحرب بحضور قادة الأسلحة وقادة الأجهزة السرية وبحضور شارون الذي كان حينذاك زعيم المعارضة. وعلى الرغم من انتماء كل من نتنياهو وباراك لحزب مختلف، فإن رؤيتهما للواقع الإسرائيلي وتشخيصهما لمشكلاته ووصفهما علاج تلك المشكلات واحد. وخلاصته أن إسرائيل دولة مهددة من قبل العرب (جميعا، حتى المصنفين معتدلين موالين للغرب)، وأن من الضروري الحفاظ على الطابع الإسبرطي وعلى النقاء العنصري للدولة، وأن خطر الإسرائيليين المؤمنين بالسلام مع العرب (ويعبر عنهم باراك باليساريين الراديكاليين) خطر كبير، ويمثل نزعة تدمير ذاتي داخل كيان المجتمع الاستيطاني. فمن الضروري لفظ فكرة السلام المتفاوض عليه من أساسها وفرض الترتيبات التي تحقق المصلحة الإسرائيلية فرضا.

هذا هو الفكر الذي عبر عنه شخصان من الجيل الأقرب إلى الشباب في إسرائيل. وقد وصل كل منهما إلى مركز رئيس الوزارة، وجاء من طريق مختلف، وهما يعبران في الحقيقة عن قاعدة شعبية واسعة، تريد أراضي الفلسطينيين والسلام معا في وقت واحد.

لشارون أيضا كتابه الذي يتحدث فيه عن رؤية مشابهة. لكن خطر شارون ليس في مكانته مفكرا وكاتبا منظرا، وإنما في قدرته على إخفاء أغراضه، وفيما يستطيع عمله وتنفيذه خلال وقت قصير.

من هنا فإن ما ينتظرنا صعب وخطير كما لم يحدث في يوم من الأيام. وآريئيل شارون ليس أحجية، ووزارته ليست مجهولة غامضة الاتجاه. فمعلوم أنه يخطط لاتفاق مرحلي وليس لاتفاق شامل، أي أنه يريد إخضاعنا لفترة انتقالية جديدة غير محددة الزمن، وفي أثنائها يستغل الوقت (على رواق) كي ينشئ المزيد من المستعمرات والكتل الإسكانية تحت اسم توسيع المستعمرات القائمة استجابة للنمو البشري، أما الفلسطينيون فسوف يجمع أموالا باسمهم لإنشاء جسور معلقة وأنفاق تحت الأرض مسيطر عليها الكترونيا لتحقيق تواصل بين الجزر السكانية الخاصة بهم (أي أن اليهود سيكون لهم سطح الأرض وللفلسطينيين بطنها هذه المرة، خلافا للمقترح الباراكي بخصوص المسجد الأقصى). ولن تحين مرحلة التسوية الدائمة هذا إذا حانت يوما إلا وقد فرغ شارون من إحداث المزيد والمزيد من الأمور الواقعة على الأرض، فلا يعود هناك ما يمكن التكلم عنه.

لقد حشد لنا الإسرائيليون في هذه النقطة المفصلية من تاريخ قضيتنا أشد العناصر حقدا وعداء وإصرارا على إلغاء وجودنا كأمة وليس كشعب فقط. وعندما يقول اليهودي الروسي المجلوب أفيغدور ليبرمان إن على إسرائيل أن تقصف السد العالي بقنبلة ذرية لكي يتحول السد الذي تصورته مصر أمل حياتها إلى طوفان يغرقها ويكون نهاية حياتها، ويقول إن على إسرائيل أن تقصم ظهر سوريا بضربة واحدة قاضية ... وعندما يقول اليهودي اليمني المجلوب رحبعام زئيفي إن مبدأ ترحيل الفلسطينيين (الترانسفير) مبدأ ضروري ولا تراجع عنه، وإنه أي زئيفي تعلمه أصلا من دافيد بن غوريون مؤسس إسرائيل ... فإن ما ينتظرنا ليس أحجية. وليس أمام الأمة العربية إلا أن تدافع عن نفسها وأن تنظم معركة دفاعها عن نفسها تنظيما جديا، دون أن يظن أحد أنه مستثنى من المعركة ولو عمد إلى التهرب.

أما في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية، فلن تنفعنا غير وحدة جميع ألوان الطيف السياسي، وعزل العملاء والمشبوهين، وتعزيز اتصالنا بالقوى الشعبية في المحيط العربي لتنسيق المهام النضالية في المرحلة القادمة.

زائر الاستواء القادم من القطب

لا بد أن الناس في منطقتنا دهشوا دهشة بالغة حين قال كولن باول في مستهل زيارته لبلاد العرب وإسرائيل في الأسبوع الماضي إن هدفه من الزيارة إحياء التحالف القديم بين أمريكا ودول المنطقة وذلك بغرض تفعيل العقوبات ضد العراق.

فما جاء به الوزير الأمريكي، كان خارجاً عن أجواء النفسية العامة والتفكير الشائع والشاغل الذي يشغل المنطقة، فبدا باول قادماً من كوكب آخر، أو بدا كأنه رجل من الاسكيمو لم يعرف من قبل شيئاً عن العالم الخارجي، وركب طائرة حملته وهو يرتدي الفراء القطبية الى منطقة تقع على خط الاستواء فنزل من الطائرة دون أن يفطن لهذا الشذوذ والخروج على مقتضيات البيئة.

ولكننا اذا تأملنا الأخبار للوهلة الثانية، قلنا انه لايعقل أن يكون الجنرال باول على هذه الدرجة من الغفلة والجهل بشؤون المنطقة، فهو رئيس أركان الجيش الأمريكي سابقاً،

والمخطط الرئيسي للحملة على العراق قبل عشر سنوات، ولديه حتماً قدر كبير من المعلومات والمعرفة بالوضع في المنطقة قديماً وحديثاً.

يجب أن يكون هناك بالتالي تفسير آخر لهذه الغفلة الظاهرة، ينسجم مع أسلوب التفكير المفترض لشخص كالجنرال، وهو التفكير المتأثر بعادة انحصار عمل الرجل العسكري ما بين الاستراتيجية وبين التكتيك.

ويخيل إلينا أن (اقتراحه) للمسؤولين العرب أن يوافقوا على عقد التحالف ثانية ضد العراق هو تكتيك لم يكن مقصوداً لذاته، بل لكي يسمع جوابهم ثم يبني عليه (اقتراحه) الثاني الذي هو الغرض الاستراتيجي لأمريكا من جولة كولن باول كلها. ومن أجل التوضيح نقول بإمكاننا تصور المسؤولين العرب ومعظمهم يحاول التخلص من أسئلة باول عن طريق قولهم : " المشكلة أن الشعب العراقي هو الذي يعاني من الحصار وليس القيادة العراقية ". وهنا يصبح باول حراً في الاستنتاج بمواجهتهم : " فإذا وضعنا عقوبات تؤدي إلى عناء القيادة وليس الشعب، فمعنى ذلك أنكم موافقون ". ثم ينسب إليهم هذا الاستنتاج كأنه استنتاجهم بأنفسهم، ويرتب عليه أيضاً كونه وعداً أو التزاماً منهم بالمشاركة في (العقوبات الذكية) التي تنوي الولايات المتحدة استخدامها ضد العراق.

وإلا، هل هناك تفسير آخر لتصريح المصدر الأمريكي المرافق لباول، حين قال في نهاية الزيارة : " إن الولايات المتحدة تنتظر أن تصل الدول العربية قبل مؤتمر القمة العربي إلى (إجماع) بشأن العقوبات اللازم اتخاذها ضد العراق؟!"

من الواضح أن الجنرال باول يظن العرب كلهم عسكراً من عسكره!

<u>لقطات الأسبوع</u>

- **في المهرجان الذي حضره جورج بوش الأب في الكويت في الذكرى العاشرة لحرب الخليج راح بعض الحاضرين يتوسلون الى بوش مبتهلين إليه أن تبقى القوات الأمريكية في الكويت. وفاتهم أن البقاء فوق آبار النفط أعز أمنيات الأمريكيين، وأنهم طالما مهدوا لهذه اللحظة وانتظروها وعملوا لها منذ (اقتراح) هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا الجمهوري الأسبق تشكيل (قوة التدخل السريع) قبل ربع قرن.. لتكون جاهزة للتدخل في الخليج حصراً. خطر لي أن جورج بوش الأب، الذي سارع إلى طمأنة أولئك الهلعين بقول " لا تقلقوا، فنحن باقون " إنما كان في زاوية من دماغه يقول : " يا لكم من جهلة مغفلين ".**
- **دعا شارون قيادة الوكالة اليهودية إلى العمل على استجلاب مليون يهودي من أطراف المعمورة لكي يقيموا في الجليل والنقب. ورافق ذلك تقرير عن التنبوءات السكانية نشرته الأمم المتحدة يقول إن عدد الفلسطينيين في عام ٢٠٥٠ سيفوق عدد الإسرائيليين إذ سيبلغ حوالي ٨ , ١١ مليون نسمة بينما يكون تعداد الإسرائيليين حوالي ١٠,١ مليون نسمة. يبدو أن هذه (البركة) الإلهية المنتظرة ستشغل بال شارون ووزارته طويلا.**
- **لم نفهم ما دخل ألمانيا في الموضوع العراقي لكي تساهم المخابرات الألمانية في حملة التهويل توطئة لضرب العراق وتتحدث عن معلومات لديها حول امتلاك العراق صواريخ وقنابل ذرية بوسعها الوصول الى القارة الأوروبية وتهديد مدن في جنوب ألمانيا. فما مناسبة هذا القول؟ وكم مرة هدد العراق ألمانيا؟ولماذا توكل الى المخابرات الألمانية هذه الأدوار ضد العرب بالنيابة عن الأمريكيين والإسرائيليين الذين لا يتوقفون عن إطلاق وصف**

(النـازي) علـى جميـع الألمـان؟ مـا هذه العبوديـة الألمانيـة للجبـروت الأمريكـي؟ أم أن ألمانيـا أصبحت في ذاتها مركز صليبية استعمارية جديدة تريد غزو الشرق؟

- قال عبدالله بشارة إن الأمريكيين يجب أن يبقوا في الكويت إلى الأبد! عجباَ، هل سيظل في الكويت نفط إلى الأبد؟!
- من هو الإسرائيلي جينوسار هذا الذي تتحدث الصحف الإسرائيلية عن اسمه مقترناً بالشراكة التجارية مع أسماء بعض كبار موظفينا؟
- هنـاك رجـال يتزوجـون فتيـات مستقيمات فيحولـوهن الـى منحرفـات وهنـاك رجـال يتزوجـون منحرفات فيحولوهن الى مستقيمات.
- مازالت القرادة التي تعيش عند مؤخرة الحصان العجوز تئز وتئز، وتتجاسر على التحدث بلهجة جياد الخيل، حتى خيل لها أن أزيزها صهيل!
- قال الشاعر الراحل بدر شاكر السياب في معرض عشقه الوطن :

انـي لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون

أيخون إنسان بلاده؟

إن خان معنى أن يكون؟

فكيف يمكن أن يكون؟

وأقول : نعم للأسف هناك من يخون، وعينه أوقح من عين ال ... أيضاً.

- ما أبشع أصوات عربات الإسعاف الزاعقة في شوارع غزة كل حين فالمرء يتوقع انها تحمل مصاباً متألماً أو معاقاً نازفاً. أما الشهيد فأمره أهون الأمور.
- مشكلة الإسرائيليين أنهم يخلطون بين معنى السلام ومعنى (فرض الإذعان على الخصم). والسلام معناه النفوس الراضية قبل كل شيء، أما القمع فمعناه كسب مواجهة مؤقتة والبقاء في حالة استنفار انتظاراً لثأر الخصم.. لماذا لا يحفظ الإسرائيليون هذا الدرس؟
- إذا كانـت إسـرائيل دولـة نوويـة علـى الصـعيد العسـكري، ودولـة مترفـة علـى صـعيد المـال والاقتصاد، ودولة محظوظة على صعيد التحالفات، وهي ترى مع ذلك أنها بحاجة الى مزيد من القوة في الفترة القادمة عن طريق تأليفها وزارة ائتلافية، ألسنا أحوج منهم للوحدة الوطنية، ونحن لا نملك شيئاً مما يملكون، والوحدة الوطنية هي سلاحنا الوحيد؟.
- لن تفرغ لجنة ميتشيل الدولية من إعداد تقريرها قبل آخر شهر آذار مارس الجاري. كأن الوصول إلى إجابة على : من هو البادئ في العنف؟ تحتاج هذا الدهر كله.
- أعتقد أن المستقبل سيكون للأسلحة التي تقوم على استخدام الأشعة المؤذية أو القاتلة وتقول الأنباء إن الأمريكيين طوروا سلاحا جديدا يستخدم الطاقة الكهرومغنطيسية ويؤثر على العدو من مسافة بعيدة. فهل بين علمائنا العرب من يتابع هذا الحقل؟
- لماذا يكون كلام وسائل الإعلام الفلسطينية المتواضعة تحريضا في نظر الإسرائيليين ويكون كلام المنادين بضرب المنطقة من إيران حتى سوريا ومن حمص حتى أسوان بالقنابل النووية كلاما سلميا ظريفا!؟ هل هذا هو المنطق الإسرائيلي القويم.